مجلة الآداب، م٢٧، ع١، ص ص ٣١٧-٣٤٨، جامعة الملك سعود، الرياض(٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ)

أهمية النقوش الإسلامية كمصدر للتاريخ الإسلامي

فيصل عبد الله بني حمد

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، قسم التاريخ، كلية التربية بحفر الباطن، جامعة الدمام

(قدم للنشر في ٢٢/ ١/ ١٤٣٥هـ، وقبل للنشر في ٧/ ٦/ ١٤٣٥هـ)

الكلمات مفتاحية: النقوش، المصادر، التاريخ الإسلامي، الآثار.

ملخص البحث:لفت انتباه الباحث كثرة النقوش وتنوعها خلال العصور الإسلامية المختلفة، وتكمن أهميتها باحتوائها على معلومات مهمة ومفيدة، والتي قد لا نعثر على نظير لها في أي مصدر آخر. فبعض النقوش حفرت على الآثار المعمارية (أو شواهد القبور). أما البعض الآخر؛ فازدانت به بعض قطع الأثاث أو النسيج، أو الطراز، وهو ما يعرف بملابس دار الخلافة الرسمية.

لذلك تعد النقوش ذات قيمة تاريخية، فهي تمدنا بمعلومات مهمة عن تاريخنا سواء ما يتعلق بالناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية أو العلمية أو غيرها. علاوة على ذلك؛ فالنقوش من أكثر المصادر دقة في تاريخها وحقائقها،كما أنها من أكثر المصادر موضوعية.

ولتوضيح ذلك؛سيركز البحث على أمثلة كثيرة ومتنوعة من النقوش التي عثر عليها في بعض بلدان العالم الإسلامي،والتي ترصد لأحداث مهمة من تاريخنا الإسلامي عبر حقبات زمنية مختلفة. من جانب آخر تحذر هذه الدراسة الباحثين إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر عند اعتمادهم على مثل هذه النقوش، إذ أن بعضها لا يخلو من التزيف والمبالغة، مما ينبغي مقارنة تلك المعلومات الواردة في تلك النقوش مع غيرها من المصادر الأخرى.

تمهيد

اعتمدت هذه الدراسة على عدد غير قليل من المصادر والدراسات التاريخية الحديثة،ومن أبرزها كتاب السجل التاريخي للكتابات العربية (Repertoire Chonologique D'epigraphie Arab)، فهذا السجل اشتمل على سبعة عشر مجلداً،عمل على تصنيفه كل من فيت وكومب وسوفاجية، وهو يعد عملاً عظيماً إذ احتوى على عدد كثير من النقوش الإسلامية والتي تمتد من صدر الإسلام حتى أواخر العصر المملوكي الثاني. وسوف نلحظ أن كثيراً من الأمثلة الواردة في هذا البحث مستمدة من هذا المصنف الضخم.

وقبل الحديث عن قيمة النقوش كمصدر تاريخي لا بد من توضيح معنى النقش لغة واصطلاحاً. فالنقش لغة يعني: الأثر في الأرض،والنقاش يقصد به الصانع،وحرفته النقاشة، والمنقاش الآلة التي ينقش بها. (ابن منظور ، د.ت ، ص٤٥٢٢، ٤٥٢٣؛ الزبيدي، ١٩٧٧م، جـ١٧، ص٤٢٧). أما اصطلاحاً، فيقصد به الكلمات وأوضاعها ، وكيفية تركيبها، وهي لا تختلف عن الوثائق والآثار من حيث قيمتها التاريخية.(ماجد، ١٩٦٤م، ص٢٣).

لقد عبر الإنسان من خلال النقوش عن مشاعره وأفكاره، وسجل ذلك على جدران الكهوف أو على ألواح حجرية، أو منقوشة على صخور الجبال، أو البرونز حفاظاً عليها من التلف أو الزوال. (العظيمي، ١٩٨٤م، ص٣٥٥ بدوي، ١٩٨٤م،ص٤٤؛ بافقيه وآخرون، ١٩٨٥م، ص٩٩؛ حلمي، ١٩٨٦م، ص٢٤٢).

ويظهر من دراستنا للنقوش أنها كانت في بداية أمرها عبارة عن رموز وإشارات بدائية غامضة، ثم أخذ الإنسان يطورها حتى وصل إلى مرتبة الكتابة التصويرية، بمعنى أنه بدأ يرسم صورة ما يشاهده ليعبر بها عن الألفاظ حتى إذا ما شاهدها أدرك معناها وعرف اسمها، لكن هذه الطريقة كانت غير كافية للتعبير عن الأمور الروحية، والألفاظ المعنوية؛ لذا فكر الإنسان بطريقة أخرى يستكمل بها ذلك النقص الملحوظ في طريقته السابقة، فكان الحافز لاختراع الكتابة المقطعية، وهي الكتابة التي اختزلت الصور والرموز والإشارات وجزّأتها إلى عدة مقاطع، ثم أخذ منها المقطع الأول وأطلق عليها أسمائها الأصلية. وبمرور الزمن تمكن الإنسان من تحليل معاني هذه الأسماء والألفاظ ، لكنه لاحظ أن هذه الوسيلة يكتنفها كثير من الصعوبات، ومن أبرزها أن الإنسان غير قادر على حفظ تلك الصور التي تعبر عن تلك المقاطع، وهذا ما دفع الإنسان للتفكير في وسيلة أخرى

لاختزال تلك الصور واختصارها للوصول إلى جذورها الأساسية، فتوصل أخيراً إلى الحروف الهجائية ، وهي الحروف التي مكنته من كتابة كل ما يفكر فيه من آراء ، وأفكار، ومعان.(بدوي، ١٩٨٤م، ص٧٤-٨٤)

إن المتتبع لأماكن تواجد النقوش سيلحظ انتشارها في مناطق استقرار العرب في أطراف شبه الجزيرة العربية الشمالية والجنوبية، ففي بادية الشام في الشمال عثر على نقوش مدونة على الأحجار والقبور يرجع تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وهي مكتوبة بما يعرف بالخط الليحاني والثمودي لعدم وجود الخط العربي. (علي،١٩٨٠م، جـ١، ص٤٤).

أما في الجنوب وبالذات اليمن، فقد وجدت النقوش على لوحات البرنز وجدران المعابد وأعمدة الرخام والمقابر، وهي مكتوبة بالخط السبيء والحميري أو ما يعرف بخط المسند، وهو يختلف عن الحروف العربية وهو أقرب ما يكون للحروف الإثيوبية (ماجد، ١٩٦٤م، ص٢٣-٢٤؛ علي،١٩٨٠م،جـ١، ص٤٤).

وعندما ظهر الإسلام أصبح الخط العربي أساس النقش في البلاد التي فتحها المسلمون لكونه الخط المقدس الذي دون فيه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم انتشر النقش في جميع بلدان العالم الإسلامي حتى فاق على خطوط سوريا ومصر وفارس والمغرب والأندلس، وتعدى حدود الهند والصين، بل إن بعض الخطوط القديمة مثل القبطية والآرامية والسريانية والفارسية واليمنية وغيرها اندثرت أمامه. (ماجد، ١٩٦٤ م، ص٢٤؛ علي، ١٩٨٠م، جـ١،ص٤؛ كريم ، ٢٠٠٢، ص٢٩٦-٢٩٧).

ويظهر أن الخط الكوفي كان أساس النقش العربي وهو الخط المربع ذو الزوايا نسبة إلى مدينة الكوفة العربية، ثم تطور هذا الخط فاستنبطت منه عدة أقلام أهمها الخط المستدير أو النسخي والرقعة والثلث والمغربي.(ماجد، ١٩٦٤م، ص٢٤؛ علي،١٩٨٠ م، جـ١، ص٤٤) وفيما يلي: سنركز على قيمة النقوش الإسلامية كمصدر للتاريخ الإسلامي.

النقوش الإسلامية مصدراً للتاريخ الإسلامي:

لا شك أن النقوش لها أهمية كبيرة عند الباحثين قديماً وحديثاً، وذلك لمصداقيتها، إذ يصعب الطعن في صحتها، حتى غدت بحق من المصادر الأصلية لكتابة التاريخ، فمعظم النقوش لم تمتد إليها أيدي النساخ بالزيادة والنقصان أو التعديل والتبديل؛ لذا أصبح بالإمكان التعويل عليها في رصد وتبيان مدى صدق

أقوال المؤرخين ودقتها، وأيضاً في إضافة معلومات جديدة، أو في ترجيح رواية تاريخية على أخرى. فضلا عن ذلك؛ فالنقوش تعد مواد أصيلة ووثائق مباشرة؛ لأنها معاصرة للأحداث التاريخية.(سوفاجية وكلود كاين، ١٩٩٨م، ص٩١).

ويبدو أن اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) كان من أوائل المؤرخين المسلمين الذين اعتمدوا على النقوش في رصد بعض الأحداث التاريخية. فمثلا عندما ذكر أخبار الصين استقى بعض معلوماته ممن شاهد تلك النقوش، وذلك بقوله: " ذكرت الرواة وأهل العلم ومن صار إلى بلاد الصين فأقام بها الدهر الطويل، حتى فهم أمرهم، وقرأ كتبهم، وعرف أخبار المتقدمين منهم، ورأوه في كتبهم، وسمعوه من أخبارهم، ومكتوب على أبواب مدنهم وبيوت أصنامهم، ومنقور في الحجارة قد أجرى فيه الذهب" (اليعقوبي، ١٩٦٤م، جـ١، ص٨٤).

ومعنى ذلك أن النقوش القديمة وجدت اهتماماً كبيراً من قبل المؤرخين المسلمين حيث استعانوا ببعض المترجمين للإطلاع على محتواها، كما حرص بعض القادة والخلفاء والسلاطين هم الآخرون على فهم فحوها. فمثلا ينقل ابن عساكر (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م) عن بعض الرواة أن المسلمين لما فتحوا مدينة دمشق سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م "وجدوا حجراً في جيرون[1] مكتوب عليه باليونانية، قال: فبعثوا إلى النصارى فلم يقرؤه، وإلى اليهود فلم يقرؤه، فجاءوا برجل يوناني فقرأه". (ابن عساكر ، ١٩٩٥م، جـ٢٤، ص٤٥٢).

وعندما دخل الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩ هـ/ ٧١٤ – ٧١٧م)مسجد دمشق لاحظ نقشاً على لوح حجري مكتوب عليه عبارات باللغة اليونانية، فسأل: " ما هذا النقش ؟ قالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، قال: ابعثوا إلى ناس من النصارى واليهود ، فجاؤه بأناس ، فقالوا: ما نعرف ، فقيل: يا أمير المؤمنين ، ابعث إلى وهب بن منبه[2]، فإنه يقرأ الكتاب، فبعث إليه فعرفه " وبعد قراءتها فسّرها وهب بن منبه على أنها أدعية منذ زمن سليمان، وكانت ترجمته مصاغة بنثر عربي موزون متقن(ابن عساكر، ١٩٩٥م، جـ٦٣ ، ص٣٦٧؛ روزنثال، ١٩٩٣م، ص١٧٣). كما

(١) جيرون: حصن قديم يقع في دمشق، عرف بذلك نسبة لجيرون الذي بناه . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٢، ص١٩٩) .

(٢) وَهْب بن مُنبه بن كامل بن سنيج أبو عبد الله الإبناوي الذماري الصنعاتي اليماني، توفي في مدينة صنعاء سنة (١١٦هـ/ ٧٣٤م). (ابن عساكر ، ١٩٩٥م ، جـ٦٣، ص٣٦٦ – ٤٠٣).

أكد المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٥م) على وجود تلك الكتابات القديمة على بعض جدران الجامع الأموي بقوله: "وهذا الكلام مكتوب في مسجد دمشق إلى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة". (المسعودي، ١٩٧٣م، جـ٣، ص١٦٧).

وبعد انتصار العباسيين على الأمويين في الزاب[٣] سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) زحف القائد عبد الله بن علي بن العباس – عم الخليفة أبو العباس – نحو دمشق فحاصرها وهدم سورها، فوقع منها حجر مكتوب عليه باليونانية "فلم يجد أحداً يقرأه حتى دلّ على رجل بالجزيرة فوجّه خلفه فقرأه". (ابن عساكر، ١٩٩٥م، جـ١ ، ص١٧-١٨).

وعندما اتجه الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٩م) إلى هِرَقلَة[٤] في بلاد الروم كان برفقته أحد المترجمين ،فروى ما شاهدوه من نقوش في تلك الرحلة بقوله: " كنت معِ الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها، فرأيت بها حجراً منصوباً مكتوباَ عليه باليونانية، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر إليَ، وأنا لا أعلم، فكانت ترجمته. بسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن آدم غافص[٥] الفرصة عند إمكانها، وكِل الأمور إلى وليها، ولا يحملنك إفراط السرور على المأثم، ولا تحمل على نفسك هم يوم لم يأت، فإنه إن يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك، ولا تكن من المغرورين بجمِع المال، فكم قد رأينا جامعاً لبعل حليلته، ومقتراً على نفسه، موفراَ لخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب في ذلك اليوم زائداً على الذي سنة" (المسعودي، ١٩٧٣م، جـ١، ص٣٣٣).

واعتمد الوزير جعفر بن يحي بن خالد البرمكي على بعض المترجمين لتفسير ما نقش على كنيسة الحيرة من كتابات قديمة. (ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٨م ، جـ٢، ص٣٩٤). وكذلك الحال ينطبق على الخليفة المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) والذي كان حريصاً على معرفة بعض النقوش المكتوبة بالحميرية. (ابن كثير،١٩٩٨م، جـ١٨، ص٦٢٥).

(٣) الزاب: يقصد به (الزاب الأعلى) وهو يقع بين الموصل وأربل. وهو ينُسب للملك الفارسي زاب بن توركان الذي أمر بحفر عدة انهار في العراق . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٣، ص١٢٣) .

(٤) هِرَقلَة: سميت بذلك نسبة لهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٥، ص٣٩٨).

(٥) غافص الرجُل مُغافصة: أي أخذه على غّرةٍ فَركَبهُ بمساءةٍ. والغافصة: من أوازم الدّهِر . (ابن منظور ، د.ت ، ص٣٢٧٦).

ونلحظ مما نقله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) والخطيب البغدادي (ت٦٤٣هـ/ ١٠٧١م) عن بعض الرواة مكانة بني العباس ومنزلتهم الاجتماعية والاقتصادية خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٦م) وذلك مما كتب على جدار سويقة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس في مدينة بغداد، ونصه ما يلي: "هذي منازل أقوام عهدتهم في رغد عيش رغيب ماله خطر، صاحت بهم نائبات الدهر فارتحلوا إلى القبور فلا عين ولا أثر ". (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٣، ص٢٨٨؛ الخطيب البغدادي، ٢٠٠١م، جـ١، ص٣٩٩).

وعندما زار ناصر خسرو (ت ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م) مدينة معرة النعمان[٦] شاهد على بابها عمود حجري مكتوب عليه كلمات غير عربية، وعندما سأل عن ذلك قيل له: " إنه طلسم العقرب، حتى لا يكون في هذه المدينة عقرب أبدا، ولا يأتي إليها، وإذا احضر من الخارج وأطلق بها فإنه يهرب ولا يدخلها "(خسرو، ١٩٩٣م، ص٥٥).

كذلك استند ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) على بعض النقوش عندما ذكر ما قام به عزيز الدولة أبي شجاع فاتك[٧] بعمارة قناديل الفضة في المسجد الجامع في مدينة حلب في سنة ٤٠٧هـ /١٠١٦م وذلك بقوله: "... وهو الذي أمر بعمارة القناديل الفضة للمسجد الجامع، وهي باقية إلى الآن واسمه عليها " (ابن العديم ، ١٩٩٦م، ص١٢٤).

ونلمس من رواية ابن شاهين (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) اعتماده على النقوش في ذكر منجزات الملك الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ – ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ – ١٣٤٠م) في مصر مثل القصر الأبلق الذي ضم ثلاثة قصور حيث وصفه بقوله: "مفروش بالرخام الملون والسقوف المدهونة بالذهب واللازورد والنقوش العجمية إنشاء المقام الشريف المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله برحمته". (ابن شاهين، ١٨٩٤م ص٢٦).

(٦) معرة النعمان: من أعمال حمص تقع بين حلب وحماة. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٥، ص١٥٦).

(٧) عزيز الدولة أبي شجاع فاتك: عرف بالمجنون لشجاعته ، وهو من أصل رومي كان رفيقا لكافور في خدمة الإخشيد، وعندما تولى كافور الحكم رفض أبو شجاع الإقامة في مصر كي لا يكون كافور أعلى رتبة منه ، لذا فضل الإقامة في إقطاعه في الفيوم. توفي سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م) . (ابن خلكان، د. ت، م٤، ص٢١-٢٢) .

كما استقى ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) معلوماته عن وقف المدرسة الظاهرية في حلب مما هو مكتوب عليها، إذ تبين أن هذه المدرسة كانت وقفاً على الشافعية والحنفية.(ابن الشحنة،١٩٨٤م، ص١٦٢) أما ابن طولون (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، فقد أفرد بضع صفحات من بحثه للحديث عما هو مكتوب باليونانية على عمائر دمشق ، فصاغها بعبارته بعد أن ترجمت له، ومن ذلك قوله: " إن على باب جيرون الشامي في أعلى الحصن من داخل القلعة مكتوب كتابة تفسيرها اللاعب بالعجين ما يجمع مالا متعوب النفس قليل ذات اليد ". وعلى أسفل الحصن مما يلي باب الوالي خارج القلعة "حجر عليه مكتوب لا تغتر بهواء دمشق ولا بسعرها ولا بناسها إن أحببت أن تسكنها".(ابن طولون ، ١٩٦٤م ، ص٦١).

واعتمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/ ١٤٢١م)على بعض النقوش في رصد بعض المنجزات العمرانية التي تمت في مدينة دمشق في العصر المملوكي، وذلك بمعرفة أصحابها، وتاريخ إنشائها ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب؛ بل أزال الغموض عن بعض النقوش ، فمثلا عندما وجد اختلافاً في تاريخ بناء الخانقاة اليونسية علل النعيمي ذلك بأن التاريخ الأول يدل على البدء في بنائها ، أما النقش الثاني، فيدل على الانتهاء من عمارتها ، وذلك بقوله: " الخانقاة اليونسية..... أنشأها الأمير الكبير الشرفي يونس داودار الظاهر برقوق في سنة أربع وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب على بابها وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين المذكورة كما هو مكتوب في الداير داخلها ولعل الأول كان ابتداء الشروع في عمارتها والثاني انتهاؤها ". (النعيمي ، ١٩٩٠م، جـ٢، ص١٤٨).

يتبين مما سبق أن بعض المؤرخين المسلمين اعتمدوا على النقوش للحصول على معلوماتهم، وكان ذلك من خلال مشاهدتهم لتلك النقوش ، أو من شاهدها من الرواة ففسروها لهم. وفي العصر الحديث زاد اهتمام الباحثين بالنقوش، فمن خلال رحلة بعض الضباط من البحارة الإنجليز جنوب شبه الجزيرة العربية سنة (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)، تم اكتشاف نقش حصن الغراب[٨] فهذا النقش مؤلف من عشرة أسطر، حيث تمكن العالم الألماني جزينوس من فك معظم الكلمات والعبارات التي سجلت على ذلك النقش.(بافقيه وآخرون، ١٩٨٥م، ص١٠٧-١٠٨).

---

(٨) حصن الغراب: شُيد على قمة جبل مرتفع يشرف على المدخل الجنوبي الغربي لخليج أقيم عليه ميناء "قنا" أشهر ميناء في جنوب الجزيرة العربية . (علي،١٩٨٠م، جـ٢، ص١٦٠-١٦١).

كذلك قام المستشرق السويدي ماكس فان برشم (Mak Van Berchem) رائد الباحثين في الكتابات الأثرية الإسلامية بزيارة إلى بلاد الشرق الإسلامي ، حيث حصل على مخزون ضخم من المواد والوثائق العلمية، وهو عبارة عن وصف دقيق لمعظم تلك العمائر الإسلامية ، فجمع ما عليها من كتابات أثرية، ثم وضعها في مؤلف كبير موضح عليها شروح وتعليقات مهمة. وهذا المجلد سماه جامع الكتابات الأثرية العربية (Corpus Inscliptionum Arbicarum) ولانجاز هذا العمل الجليل استعان فان برشم بفريق ذو كفاءة عالية من زملائه وتلاميذه، فجمعوا معه الكتابات الأثرية في مصر وسورية وفلسطين ، حيث تم نشر هذا الكتاب من قبل مجمع الآداب الرفيعة في باريس تحت عنوان (Corpus Inscliptionum semiticatum).

وبوفاة فان برشم سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) نمت واستقرت قواعد علم النقوش الخاص بالكتابات الأثرية الإسلامية، وخلف فان برشم بعض تلاميذه مثل جاستون فيت الذي أكمل الجزء الخاص بمصر من (جامع الكتابات العربية). كما عمل زملاؤه على تحقيق رغبة أستاذهم برشم،وذلك بجمع النصوص العربية المكتوبة على العمائر والتحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وقد نفذ هذا العمل الكبير فيت وكومب وسوفاجيه معتمدين على الباحثين بالآثار الإسلامية والتاريخ الإسلامي. فتم ذلك السجل التاريخي للكتابات العربية Repertoire (Chonologique D'epigraphie Arabc) وهو يتألف من سبعة عشر جزء ، يبدأ بصدر الإسلام وينتهي في أواخر العصر المملوكي الثاني (كاشف، ١٩٧٦م، ص٩٦-٩٩) .

وبحلول القرن العشرين أدت النهضة العربية الحديثة إلى اهتمام العرب بهويتهم، فكان من نتيجة ذلك الاهتمام بشبه الجزيرة العربية مهد الأمة الإسلامية، وقد أخذ ذلك الاهتمام يعبر عن نفسه في البداية بشكل رحلات كشفية. ومن الأمثلة على ذلك؛ رحلة أمين الريحاني المسجلة في كتابه ملوك العرب، أو رحلة البلاد العربية ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وهي تقع في ثلاثة أجزاء.(بافقيه وآخرون، ١٩٨٥م، ص١١٠).

أما في المجال العلمي؛ فجاءت المبادرة من مصر، إذ تشكلت بعثة متعددة الاهتمامات العلمية، وذلك في سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م برئاسة الجغرافي سليمان أحمد حزين ، وضمت بين أعضائها عالم النقوش خليل يحيى نامي، وكانت حصيلة عملها إحدى وتسعين نقشاً،

معظمها من ناعط[٩]. ففي عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م تم نشر أول نقش بعنوان: "نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها". فهذا العمل يعد من أوائل الدراسات العربية عن النقوش إذا استثنينا بعض الترجمات لإعمال أوروبية.(بافقيه وآخرون، ١٩٨٥م، ص١١٠).

يتبين مما سبق أن دراسة النقوش وجدت اهتماماً خاصاً في العصر الحديث ، فالأوربيون عملوا على جمعها وتبويبها وتصنيفها في كتب علمية سهلة المنال، مما وفر على الباحثين جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً في البحث عنها. فالباحث في التاريخ سواء في العصور القديمة أو الإسلامية لا غنى له عن الرجوع لتلك النقوش ، ذلك أن أغلب ما وصل إلينا عن العصر الجاهلي وصدر الإسلام لا تزيد عن روايات يغلب عليها الطابع الأسطوري وتختلط فيها الحقيقة بالخيال. ولا شك أن الاستناد إلى الكتابات الأثرية المسجلة على الآثار وثائق أصلية، فهي تساعد الباحث في تأريخه للأحداث ، فهذه الكتابات في معظم الأحيان تكون محايدة غير مغرضة ، وبنفس الوقت هي معاصرة للأحداث، فهي بمثابة سجل تاريخي لم تشوهها الروايات والنقول.(سالم، ١٩٨١م، ص١٥١).

حقاً إن الكتابات الأثرية الإسلامية لها قيمة كبيرة عند الباحثين في التاريخ الإسلامي، فهي معاصرة للأحداث، وهي أكثر حياداً من كتابات المؤرخين المسلمين الذين ربما تعصبوا للأسرة الحاكمة التي يكتبون في ظلها، أو تعصبوا لمذهب ديني سائد في دولتهم. فضلا عن ذلك فإن النقوش الإسلامية امتازت بتواريخها الصحيحة، فمثلا اختلفت الروايات التاريخية في نسبة تشييد بعض العمائر الدينية (مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى) ، فمن المؤرخين من أرجع عمارتها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م) (المقدسي، ١٩٠٩م، ص١٥٨ ، ١٦٨؛ الحميري، ١٩٨٤م، ص٦٩؛ الحنبلي، ١٩٦٦م، جـ١، ص٢٧٢) ومنهم من نسب بنائها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ – ٩٦هـ/ ٧٠٥- ٧١٥م). (ابن البطريق، ١٩٠٥م، جـ٢، ص٤٢؛ القلقشندي، ١٩١٤م، جـ٤، ص١٠١).

لكن بفضل بعض النقوش مع تأييد بعض المؤرخين تبين أن بناء قبة الصخرة يعود إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، بينما ترجع عمارة المسجد الأقصى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقد ورد في النقش الموجود على القناطر التثمينية الوسطى في

(٩) ناعط: حصن قديم يقع قرب عدن. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٥، ص٢٥٣) .

الناحية الجنوبية الشرقية من مسجد الصخرة ما يلي: "بنى هذه القبة عبد الله، عبد الله الأمام المأمون أمير المؤمنين سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين ". (العارف، ١٩٥٥م، ص٧٦؛ ماجد، ١٩٧٩م، جـ٢، ص١٨٨-١٨٩).

ولعل سبب هذا الاضطراب بين المؤرخين أن الخليفة العباسي المأمون عندما قدم إلى بيت المقدس أمر بترميم مسجد الصخرة، ولما انتهى العمال من ذلك سنة (٢١٦هـ/ ٨٣١م) (العارف، ١٩٥٥م، ص٧٧) أرادوا أن يتزلفوا إلى الخليفة، فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ولكنهم نسوا تغير السنة التي حدثت فيها هذا الترميم.

لذا لم يفطن الصانع إلى تغيير التاريخ ، فقد أبقى سنة (٧٢ هـ/ ٦٩١م) وهي السنة التي تم فيها بناء القبة، وكان ذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فالصانع لم يذكر السنة التي تم فيها ترميم العمران على يد المأمون ، وكان ذلك في سنة (٢١٦هـ/ ٨٣١م). فضلا عن ذلك؛ فالنقاش وجد مكاناً ضيقاً بحيث لا يتسع لاسم الخليفة المأمون وألقابه، مما اضطر إلى كتابة ذلك بطريقة مغايرة لتلك التي كتبت بها الكلمات الأخرى ، أي أن الحروف التي كتبت بها اسم المأمون مزدحمة متراصة يختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها، ثم أن لون الفسيفساء التي جرى فيها التحريف أشد سمرة من لون الفسيفساء القديمة. (العارف، ١٩٥٥م، ص٧٧).

إضافة إلى ما ذكر؛ فإن معظم المصادر صمتت حول فكرة المهدية زمن الخليفة أبي العباس (١٣٢ – ١٣٦هـ/ ٧٥٠- ٧٥٤م) ، ولم تبرز بشكل واضح إلا في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ/ ٧٥٤ – ٧٧٥م) وابنه الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ/ ٧٧٥ – ٧٨٥م). لكن وجد نقش أثري مثبت على لوح مئذنة في جامع صنعاء يدل بوضوح على أن الخليفة أبا العباس اتخذ لقب المهدي، وفيما يلي نصه: " بسم الله الرحمن الرحيم لا اله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أمر المهدي عبد الله عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بإصلاح المساجد وعمارتها على يد الأمير علي بن الربيع[١٠] أصلحه الله في سنة ست وثلاثين ومائة عظم الله أجر المهدي وتقبل عمله " (الدوري، ١٩٨١م، ص١٢٤).

---

(١٠) كان علي بن الربيع أميراً على بلاد اليمن ما بين (١٣٤-١٤٠هـ/ ٧٥١- ٧٥٧م) . (زامباور، ١٩٥١م، ص١٧٦).

ومما يؤيد هذا النص بعض الروايات القليلة المتناثرة بين ثنايا بعض المصادر، ففي كتاب الفتوح لابن أعثم ذكر أن الخليفة أبا العباس ادعى أنه القائم من آل محمد، وعبر عن ذلك في خطبته الأولى بالكوفة بقوله: "فإني السفاح المبيح والثائر المبير " ، معلنا بذلك أنه سيعطي المال بسخاء، وهذا من صفات المهدي حيث العطاء الجم، وإزالة الجور، وإملاء الأرض عدلا (ابن أعثم، ١٩٩٢م، جـ٢، ص٢٢٠-٢٢١).

كما ذكر البلاذري أن الخليفة أبا العباس لما سمع بفتح السند وإفريقية، قال لأحد عمومته: "سمعت أنه إذا فتح السند وإفريقية مات القائم من آل محمد " قال له: " كلا ". " فما برح حتى دعا بدُّواج[١١] لقشعريرة أصابته" ، فكان الجدري الذي أودى بحياته (البلاذري، ١٩٧٨م ، ق٣، ص١٧٨).

ويرد في كتاب التنبيه والأشراف أن لقبه الأول المهدي، فقد ذكر المسعودي ذلك بقوله: "وقد كان لقب أولا بالمهدي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة مئة وثنين وثلاثين بالكوفة" (المسعودي،١٨٩٣م، ص٣٣٨). وأيد ذلك ابن العمراني بقوله: أن المسودة حيث ثاروا في خراسان "للإمام أبي العباس الهادي المهدي من آل محمد " (ابن العمراني، ١٩٧٣م، ص٣٢٨).

يتبين مما سبق أن هناك إشارات واضحة من مؤرخ مبكر كالمسعودي،ومن مؤرخ متأخر كابن العمراني إلى لقب المهدي، ومعنى ذلك أن هناك اتجاهاً عباسياً رسمياً كان دافعاً لاتخاذ لقب المهدي. ولنا أن نتسأل؛ لماذا طمس هذا اللقب فيما بعد ؟

يبدو أن فترة خلافة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٤م)،وما يتعلق بها من أحداث كشفت عن ذلك، فقد كان من الأسباب التي دفعت ذلك الخليفة لاتخاذ هذا اللقب صراعه العسكري مع محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم، فقد كان كل منهم يحاول أن يستخدم لقب المهدي للتأكيد على أنه أحق بالسلطة من غيره، لذلك فإن المنصور بما قام به قد أحدث ثورة داخل الدولة العباسية حيث أكد على أحقية خلافة العباسيين، وأنهم يرجعون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ﷺ)، كما أكد على دور الخراسانيين في قيام الدولة في وجه عرب الكوفة أصحاب الميول العلوية، وبنفس الوقت هي دحض لمزاعم محمد النفس الزكية الذي ادعى أنه المهدي، وذلك بالتأكيد على أن ابنه محمد هو المهدي الذي بشر به، ولقب نفسه المنصور، أو الذي يمهد للمهدي،

(١١) الدُّواج:صنف من الثّياب .(ابن منظور ، د.ت ، ص١٤٤٩) .

وبذلك طمس لقب المهدي الذي استعان به سلفه والذي مهدت له الرايات السود (الدوري، ١٩٨١م، ص١٣٢).

مثال آخر اختلف بعض المؤرخين المصريين في تاريخ إنشاء جامع أحمد ابن طولون ، فقد ذكر الكندي أن بداية بناء ذلك الجامع كانت سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)، وانتهت في سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) (الكندي، ١٩٠٨م، ص٢١٩). أي دام نحو عامين. بينما يذكر ابن دقماق وأبو المحاسن أن العمل بدأ سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) (ابن دقماق، (د.ت)، ق١، ص٦٧؛ أبو المحاسن، ١٩٩٢م، جـ٣، ص١٢). لكن المقريزي يرى أن بداية العمل كان سنة (٢٦٣هـ/ ٨٧٦م) ، وتم الانتهاء منه سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م) (المقريزي، ١٢٧٠هـ ، جـ٢، ص٢٦٥-٢٦٦). وقد صحح أقوال هؤلاء المؤرخين التاريخ الوارد في الكتابة التاريخية التي وجدت على لوح من الرخام في الجامع ومنقوشة بالخط الكوفي، وهي تؤكد أن الفراغ من بناء الجامع كان في سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٩م) (Combe, 1931, vol 2, p198؛ الشافعي، ١٩٧٠م، ص٤٦٣-٤٦٤)، أي كما ورد عند المقريزي.

وهكذا يتضح أن الكتابات الأثرية مع تأييد لها من بعض الروايات التاريخية كشفت اللثام عن بعض الحقائق التاريخية، وكيفما كان الحال فإن المفهوم أو المستنبط من النقوش الكتابية الأثرية هو الذي ترجح كفته دائما في حالة الاختلاف بين ما يذكره أي كتاب تاريخي وما نفهمه من أي نقش كتابي أثري. ولكن الطريقة المثلى في الإفادة من النقوش الكتابية الأثرية هي الموازنة بين نصوصها وبين الحقائق المستمدة من المؤلفات التاريخية ثم التعليق عليها وشرحها وإظهار ما يمكن استنباطه منها مؤيداً للحقائق المستمدة من المصنفات التاريخية أو مخالفا لها.

ومثلما هناك اختلافاً في بعض المصادر التاريخية من حيث تحديد السنوات أو عدم الاتفاق في بعض الحقائق التاريخية؛ فإن هناك اختلافاً أيضا في بعض النقوش حول السنة التي وقع فيها الحدث، فمثلا اختلفت بعض النقوش حول بناء المسجد الأموي الذي شيد زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فالنقش الأول ذكر أن بنائه تم في ذي الحجة سنة ٨٧ هـ/ تشرين ثاني (مايو) ٧٠٦م، (Combe, 1931, vol 1, p17) وقد أيد ذلك المسعودي (المسعودي، جـ٣، ص١٦٦-١٦٧)، في حين أن النقش الثاني ذكر أن عمارته انتهت في ذي القعدة سنة ٨٦هـ/ تشرين أول (ابريل) ٧٠٥م (Combe, 1931, vol 1, p16) ويتفق مع هذا النقش ابن كثير.(ابن كثير، ١٩٩٨م، جـ١٢، ص٤٠٣).

ولم تسعفنا بعض المصادر التاريخية التي اطلعت عليها ترجيح أي من النقشين السابقين، فبعض المصادر ذكرت أن الجامع الأموي في مدينة دمشق شُيد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، دون تحديد السنة التي تم فيها ذلك البناء. (الطبري، ١٩٦٤م، جـ٦،ص٤٩٦؛ ابن الأثير، ١٩٨٧م، جـ٤، ص٢٩٢؛ ابن فضل الله العمري، ٢٠١٠م، جـ١، ص٢٣٩).

ومن جهة أخرى؛ فإننا نستبعد بعض المصادر التاريخية التي ذكرت أن بناء الجامع تم في سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، (مجهول، د. ت ، جـ٣، ص٥؛ الحميري، ١٩٨٤م، ص٢٣٨) لعدم تأييد النقوش لذلك التاريخ. والأرجح أن عمارته بدأت في ذي القعدة سنة ٨٦ هـ/ تشرين أول (ابريل) ٧٠٥م ، وانتهت في ذي الحجة سنة ٨٧هـ/ تشرين ثاني (مايو) ٧٠٦م.

مثال آخر؛ هناك اختلافاً بين ما ورد في بعض المصادر التاريخية وما ورد في النقش حول بناء الجامع في قلعة بيت المقدس، فابن شداد ذكر أن الناصر داود هو الذي بنى الجامع مكان برج داود (ابن شداد، ١٩٦٣م، جـ٣، ص٢٣٣) بينما يذكر النقش أن هذا الجامع يعود بناؤه إلى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م (غوانمة، ١٩٨٢م، ص٥٦) لكن القلقشندي يرى أن الناصر محمد بن قلاوون عمل على تجديد عمارته. (القلقشندي ، ١٩١٤م، جـ٤، ص١٠١) ومعنى ذلك أن الناصر داود هو الذي بناه، بينما عمل الناصر محمد بن قلاوون على تجديد ذلك البناء، واثبت ذلك على لوحة حجرية. (غوانمة، ١٩٨٢م، ص٥٦).

كذلك تكرر الاختلاف في النقوش حول بدء وانتهاء عمارة مدرسة السلطان قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ – ١٢٩٠م)، لكن أحد النقوش الأربعة ذكر أنه شرع في عمارتها في شوال سنة ٦٨٣هـ/ كانون الأول (يونيو) ١٢٨٧م وانتهى منها في صفر ٦٨٤هـ/ نيسان(ابريل) ١٢٨٥م. أما النقوش الثلاثة الأخرى، فتتفق على أن العمل في بنائها بدء فيه في شهر صفر ٦٨٤هـ/ نيسان(ابريل) ١٢٨٥م وانتهى منها في جمادى الأولى سنة ٦٨٤هـ/ تموز (يوليو) ١٢٨٥م (Combe, 1931, vol 13, p31-33).

ونلحظ أن المصادر التاريخية المعاصرة المتوافرة لم تذكر تاريخ ذلك البناء، فمثلا المقريزي اكتفى بذكر المدرسة وأنه تم بناؤها في عهد السلطان المنصور قلاوون (المقريزي، ١٢٧٠هـ ، جـ٢، ص ٢٧٩-٢٨٢)، لكن بالرغم من ذلك فإننا نرجح أن الإجماع هو الأكثر صحة؛ لذا نميل إلى اتفاق النقوش الثلاثة

من أن العمل بدء في شهر صفر ٦٨٤هـ/ نيسان(ابريل) ١٢٨٥م، واكتمل في شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٤هـ/ تموز (يوليو) ١٢٨٥م.

يتبين مما سبق أن النقوش ساندت بعض المصادر التاريخية في ترجيح الاختلاف حول بعض القضايا التاريخية،والكشف عنها، كما ساعدتنا المصادر التاريخية في الوصول قدر المستطاع إلى الحقيقة، فكلاهما ساند الآخر.

ومن جهة أخرى؛ دلّت بعض النقوش على تحديد أسماء بعض المعالم العمرانية، مثل: قصر مسلمة بن عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام في وادي العقيق بالمدينة المنورة، والذي يعود إلى العصر الأموي، فعلى صخرة كبيرة في الجانب الشمالي من الجبل عثر على نقش مكتوب بالخط الكوفي نصه ما يلي: " أنا بن عبد الله بن عروة بن الزبير أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله على ذلك أحيا وأموت وأبعث إن شاء الله". (الراشد، ٢٠٠٣م ، ص٤٠٩).

كذلك دلّت كثرة النقوش الإسلامية على تحديد معالم الاستيطان الحضري في العصور المبكرة، مثل: طريق الحج والتجارة والواحات ومراكز تجمع المياه والمناطق الزراعية، فمثلاً تبين من خلال المسح الأثري لمنطقة المدينة المنورة والحرار المحيطة بها كثرة النقوش في خيبر[١٢] وفدك[١٣] والصويدرة[١٤] والحناكية[١٥] والربذة[١٦] وضرية[١٧] وطريق الحج الشامي جنوب تبوك ومنطقة حِسْمَى[١٨] (الراشد، ٢٠٠٣م ، ص٤٠٩).

---

(١٢) خيبر: مدينة تاريخية قديمة فيها سبعة حصون، تبعد عن المدينة المنورة نحو (١٧١)كم . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٤، ص٤٠٩ ؛ البلاوي ، ٢٠١٠م ، ص٥٨١).

(١٣) فدك: من قرى المدينة تبعد عنها نحو مسيرة يومين. وقيل ثلاثة، (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٤، ص٢٣٨).

(١٤) الصويدرة: بلدة عامرة على طريق القصيم تبعد عن المدينة المنورة نحو (٥٣)كم . (البلاوي ، ٢٠١٠م ، ص١٠١١).

(١٥) الحناكية: بلدة عامرة على طريق القصيم تبعد عن المدينة المنورة نحو (١٠٠)كم . (البلاوي ، ٢٠١٠م ، ص٥٠٧).

(١٦) الربذة: من قرى المدينة المنورة تبعد عنها نحو مسيرة ثلاثة أيام. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٢٤) .

(١٧) ضرية: قرية قديمة قريبة من مكة ، وهي من منازل حجاج البصرة . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٣، ص٤٥٧) .

(١٨) حِسْمَى: منطقة جبلية تقع غرب تبوك . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٢٥٨) .

ولو دققنا النظر في بعض النقوش الإسلامية كتلك التي وجدت على طريق الحج الشامي لأدركنا أهميتها في عدة جوانب، فقد أمدتنا بمعلومات لا نظير لها في المصادر الجغرافية والتاريخية والأدبية المكتوبة، وهي خاصة بالحجاج والمسافرين على ذلك الطريق، ففيها أسماء وألقاب وكنى شخصيات إسلامية،كما يتضح من خلال تلك النقوش معالم الطريق ومنازله،ونستطيع أن ندرك من خلالها مراحل تطور الخط العربي خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة (الكلابي، ٢٠٠٩، ص ١٠ – ١١).

وبالقرب من محطة غيل المنضج (المبرح) في محافظة ظهران الجنوب الواقعة على مسار طريق الحج اليمني الأعلى (النجدي) بين صنعاء ومكة المكرمة عثر على نقش إسلامي مؤرخ في سنة ٩٨هـ/ ٧١٦-٧١٧م، وتكمن أهميته لكونه أول نقش إسلامي مؤرخ يكشف عنه لغاية الآن على طريق الحاج اليمني الأعلى ، فهذا النقش سيساعد الباحثين على تحديد تاريخ استخدامات ذلك الطريق خلال العصور الإسلامية المختلفة. (الثنيان،٢٠٠٤م، ص٥٩، ٦٦).

ومن خلال النقوش الإسلامية الأربعة التي عثر عليها في محافظة بيشة، والتي تعود للفترة الزمنية الممتدة (١٤١- ٢٤٠هـ/ ٧٥٨- ٨٥٤م) تبرز قيمة تلك النقوش، فهي تفيدنا في دراسة تطور الكتابة العربية الإسلامية وتحليلها؛ كما تؤكد على وجود صلات حضارية وثيقة بين المواقع الجغرافية واستخدامات طريق الحج اليمني الأعلى خلال العصور الإسلامية المبكرة (الثنيان، ٢٠٠٦م، ص١).

ومن جهة أخرى؛ كشفت بعض النقوش الإسلامية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي دور بعض القادة في نشر الإسلام، والتصدي للأخطار الخارجية، فمثلاً شاهد ابن بطوطة على محراب الجامع الأعظم لمدينة دهلي نقشاً مكتوباً يؤكد أن فتح مدينة دهلي تم في سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م على يد الأمير قطب الدين أيبك. (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، جـ٣، ص١١٩). كما عثر ابن بطوطة على نقش آخر مكتوب على مقصورة الجامع بملتان[١٩] وهو يعود للسلطان محمود الغزنوي حيث ذكر هذا الأخير ما قام به من حملات عسكرية كثيرة على التتر، وفيما يلي نص ذلك النقش بقوله: " إني قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة، فهزمتهم. فحينئذ سميت بالملك الغازي" (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، جـ٣، ص١٣٩).

---

(١٩) مُلتان: مدينة قديمة في الهند تقع قرب غزنة . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٥، ص١٨٩) .

يتضح من خلال النقش السابق أن مجموع الغزوات التي شارك فيها السلطان محمود الغزنوي ضد التتر بلغ عددها تسع وعشرين غزوة، وكان النصر فيها لصالح المسلمين، ولهذا عرف ذلك السلطان بالملك الغازي.

ووجد في مدينة صفد[٢٠] نقش يعود تاريخه إلى سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦م يؤكد بناء أسوار صفد وقلعتها بأمر من السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ – ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠- ١٢٧٧م) (ابن كثير، ١٩٩٨م، جـ١٧، ص٤٧٠). كما عثر على نقش آخر في يافا وهو مؤرخ في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م يذكر انتصار السلطان الظاهر بيبرس على الفرنج، وتحريره لبعض المدن الساحلية ومنها يافا، حيث نقش هذا الانتصار على القبة التي أمر السلطان بيبرس بإنشائها فوق المنارة (ابن كثير، ١٩٩٨م، جـ١٧، ص٤٧٥؛ Combe, 1931, vol 12, p124). فضلا عن ذلك؛ يظهر نقش آخر دور الظاهر بيبرس في تحرير حصن الأكراد[٢١] ثم تجديد بنائه في ٢٥/ شعبان ٦٦٩هـ/ ٨ / نيسان (ابريل) ١٢٧١م (Combe, 1931, vol 12, p148). إضافة لذلك؛ فبعض النقوش تشير إلى قيام بعض المنشآت العسكرية كبناء برج القاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله (Combe, 1931, vol 5, p16 – 427 – 487) (هـ/ ١٠٣٥ – ١٠٩٤م). ويوجد نقش آخر على أحد الأبراج في ديار بكر يثبت أن بناء ذلك البرج تم في ظل الدولة الإسلامية، وهو مؤرخ بسنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) (Combe, 1931, vol 9, p51,58).

وخلّدت بعض النقوش منجزات عمرانية دينية مقدسة مثل:توسعة الحرمين الشريفين (المسجد النبوي والمسجد الحرام)، فبعض المؤرخين اعتمدوا على النقش في وصف ما قام به الخليفة أبو جعفر المنصور من توسعة المسجد الحرام ما بين (محرم ١٣٧هـ/ تموز ٧٥٤م وذي الحجة / ١٤٠هـ/ نيسان/ ٧٥٨م) وتم تكليف زياد بن عبيد الله الحارثي[٢٢] للقيام بهذه المهمة،وكتب ذلك على باب بني جُمح.(الأزرقي،

(٢٠) صفد: بلدة جبلية متوسطة لها قلعة تشرف على بحيرة طبرية. (أبو الفداء، ١٨٤٠م، ص٢٤٢-٢٤٣) .

(٢١) حصن الأكراد: يقع في سفح جبل لبنان ، قرب مدينة حمص (الحميري، ١٩٨٤م، ص٥٠٨).

(٢٢) زياد بن عبيد الله الحارثي : هو خال الخليفة أبي العباس (السفاح) تولى إدارة بلاد الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) في عهد الخليفتين أبي العباس والمنصور . كما تولى إمارة الحج سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م). ومن المرجح أنه توفي سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٧م) . (الصفدي، ٢٠٠٠م، جـ١٥، ص٩).

١٩٩٦م، جـ٢، ص٧٢؛ الفاكهي،١٩٩٤م، جـ٢، ص١٦٤) .

أما في عهد الخليفة المهدي؛ فتمت توسعة المسجد الحرام مرتين، الأولى؛ تمت في سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م. بينما تمت الزيادة الثانية، سنة ١٦٧هـ / ٧٨٣م. (الأزرقي، ١٩٩٦م، جـ٢، ص٧٤-٨١؛ الفاكهي، ١٩٩٤م، جـ٢، ص١٦٥- ١٧٤) ففي أعلى جدار البلاط الغربي للمسجد الحرام شاهد الرحالتان ابن جبير وابن بطوطة بعض النقوش التي تؤكد تلك المنجزات العمرانية العظيمة التي تمت في عهد الخليفة المهدي. (ابن جبير ، د.ت، ص٦٨-٦٩، ٨٥-٨٦؛ ابن بطوطة، ١٩٩٧م، جـ١، ص٣٧١).

ومثلما تمت توسعة المسجد الحرام، فقد حرص الخليفة المهدي على توسعة المسجد النبوي، ففي سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٨م كلف أمير المدينة المنورة جعفر بن سليمان[٢٣]، بالإشراف على توسعة المسجد النبوي ، وبناء على رغبة الخليفة المهدي بتخليد ذلك العمل العظيم، نقش ذلك الانجاز في صحن المسجد، حيث ابتدأ بالبسملة والحمد، ثم الدعاء للخليفة المهدي الذي تولى الإنفاق على ذلك المشروع الخيري ، كما تم ذكر العام الذي بدء فيه العمل والعام الذي اكتملت فيه التوسعة، ومما جاء في ذلك النص: " وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي، محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله (ﷺ) في سنة اثنتين وستين ومائة، وفرغ منه خمس وستين ومائة، فأمير المؤمنين أصلحه الله بحمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله (ﷺ) وتوسعته حمداً كثيراً، والحمد لله رب العالمين على كل حال " (الحربي ، ١٩٦٩م، ص٣٨٨؛ ابن النجار، ١٩٩٥م ، ص١٧٩).

ونلحظ اعتماد الفاكهي على بعض النقوش التي عثر عليها في المسجد الحرام لإثبات أن إصلاحات مهمة قد تمت في عهد الخليفة الموفق بالله، وتحديداً في سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م. (الفاكهي،١٩٩٤م، جـ٢، ص١٧٦).

وشاهد ابن جبير نقش في الحرم المكي مؤرخ بسنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م مما يؤكد قيام الخليفة الناصر لدين

(٢٣) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، تولى إدارة المدينة المنورة مرتين، الأولى دامت ثلاث سنوات ما بين (١٤٦- ١٤٩هـ/ ٧٦٣- ٧٦٦م) بينما في المرة الثانية استمرت ست سنوات، وذلك ما بين (١٦٠- ١٦٦هـ/ ٧٧٦- ٧٨٢م). (ابن الكلبي، ١٩٨٦م،ص ٣٧٤ ؛ ابن خياط، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٤٧١؛ البلاذري، =

= ١٩٧٨م، ق٣،ص٩٦ ؛ وكيع؛ د. ت، جـ١، ص٢٠٢، الطبري، ١٩٦٤م، جـ٨، ص٤٦٦) .

الله ببعض الإضافات العمرانية (ابن جبير، د.ت ، ص٦٥). كذلك كان للسلطان الملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر بن رسول بعض الأعمال التجديدية في الحرم المكي، والتي شملت تجديد رخام الكعبة المشرفة والمسجد الحرام. ومما يزيد من أهمية هذا النقش أن اسم الملك المظفر ظهر على حجر تأسيسي في جوف الكعبة(ابن فضل الله العمري، ٢٠١٠م، جـ١، ص١٨١-١٨٢؛ المريخي، ١٤٢٦هـ، ص٢٥٠) وذلك تخليداً لمنجزاته الكبيرة؛ ولعله بهذا العمل يعد أول ملك عربي يوضع اسمه داخل الكعبة المشرفة، ففي حوادث سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م ذكر ابن فهد: "فيها عمر رخام جوف الكعبة من قبل المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن، وهو أول ملك كتب اسمه في الكعبة" (ابن فهد ، ١٩٨٤، جـ٣، ص١١٣).

كذلك زودتنا بعض النقوش بمعلومات مهمة عن بعض المنجزات العمرانية الأخرى كالاقتصادية والعسكرية والتي تمت في عهد بعض الخلفاء والسلاطين، ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠هـ/ ٦٦١-٦٧٩م) تم بناء سد الطائف، ومما يؤكد ذلك وجود نقش في الطائف يؤرخ لبناء ذلك السد في سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م (الراشد، ٢٠٠٣م،ص٤١٥).

وفي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦ م شرع الخليفة هارون الرشيد ببناء سور الرقة[٢٤]، واسمه مكتوب على باب السبال من الجانب الشرقي للبلدة (ابن شداد، ١٩٧٨م، جـ٣، ق١، ص٧٠ – ٧١) وشاهد الفاسي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) نقشاً على حجر ملقى في سبيل الجوخى في مدينة مكة المكرمة ، وذلك بقوله: "ورأيت مكتوباً في حجر ملقى فيه: أن المقتدر العباسي ووالدته أمرا بعمارة هذه السقايات والآبار التي وراءها ، وتصدقا بها في سنة اثنتين وثلاثمائة ". (الفاسي، ٢٠٠١م، ص١٩٧).

أما في عهد السطان نور الدين زنكي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، فتم بناء سور حول مدينة بعلبك سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م، بالإضافة إلى بناء برج في دمشق سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م (Combe, 1931, vol 9, p244) كذلك أقام أسد الدين شيركوه[٢٥] برجاً في حمص، وذلك في سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م (Combe, 1931, vol 11, p22).

---

(٢٤) الرقة: مدينة تاريخية قديمة تقع على نهر الفرات ، تبعد عن حران مسيرة ثلاثة أيام. (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٣، ص٥٩).

(٢٥) أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، تولى الوزارة في مصر بعد مقتل شاور، توفي سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م. (ابن خلكان، د. ت، م٢، ص٤٨٠) .

وفي بصرى أمر السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بعمارة الزردخاناه (خزانة السلاح) وذلك في سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م (ابن كثير، ١٩٩٨م، جـ١٤، ص٢٢؛ Combe, 1931, vol 13, p224).

ومن خلال الوفيات التي وردت في بعض النقوش يمكن التعرف على الناحية العسكرية، ففي سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م جاء في النقش أن علم الدين ارجوش بن عبد الله المنصوري نائب القلعة بدمشق توفي في ذلك العام، وكان ذا هيبة وهمة وشهامة، حفظ القلعة من السقوط بيد التتار.(Combe, 1931, vol 4, p 193, vol 5, p 88, vol 17, p 95) أما عن الناحية الإدارية، فقد ورد في بعض النقوش إشارات إلى بعض الوظائف مثل: رئيس الشرطة، أو الحاجب، أو أمير سلاح (Combe, 1931, vol 15, p 9). وتضمنت بعض النقوش معلومات مهمة عن النشاط الاقتصادي، مثل إسقاط المكوس، أو إقامة بعض العمائر التجارية كالأسواق، والقياسر، والخانات ، ففي النقش المؤرخ في شهر رجب سنة ٧٣١هـ / نيسان (ابريل) ١٣٣١م ورد أن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ – ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ – ١٣٤٠م) أمر " بإسقاط المكوس عن تجار آمد[٢٦] وما كان يؤخذ منهم من الأوزان والمقرات والوظائف والطارئات ، وأن يطلق لهم ويزال عنهم ضمان الكرى، وأن يستقر الكيل عندهم على عادته المستمرة، وقاعدته المستقرة، وذلك إنعاما عليهم وأحسانا إليهم وطلبا لعمارتهم واستجلابا للأدعية الصالحة بخلود الدولة القاهرة " (Combe, 1931, vol 9, p 115).

ويتضح من خلال بعض النقوش التي عثر عليها في مدينة القاهرة قيام بعض السلاطين بمنجزات عمرانية عظيمة، فالسلطان صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) شيد فندقاً سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م (Combe, 1931, vol 11, p 4).

كما أشار نقش آخر إلى قيام السلطان شاهنشاه المعظم علاء الدنيا والدين أبو الفتح كيفباد بن كيخسرو بعمارة خان سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م Combe, 1931, vol 3, p 46, 48, 49, 112, 170).

كذلك زودتنا النقوش بمعلومات مختلفة عن الجانب الصناعي، فمثلا كانت صناعة الخلع، ومن أشهرها خلع السلطان تصنع في نيسابور[٢٧]

(٢٦) آمد: بلدة قديمة حصينة تقع على نهر دجلة . (ياقوت = الحموي، ١٩٧٧م، جـ١، ص٥٦) .

(٢٧) نَيَسَابُور: مدينة تاريخية قديمة وعريقة تقع في إقليم خراسان. وهي من أجمل المدن في ذلك الإقليم (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٥، ص٣٣١؛ أبو الفداء، ١٨٤٠م. ص٤٧٣) .

ودمياط[٢٨] وتنيس[٢٩] وسلم[٣٠] (Combe, 1931, vol 9, p92).ومن خلال النقوش يظهر أن أبواب الحوانيت التي شاهدها ابن زبالة(ت ١٩٩هـ/ ٨١٤م) في سوق المدينة المنورة يرجع صناعتها إلى البلقاء[٣١]، ثم نقلت فيما بعد إلى المدينة المنورة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ/ ٧٢٤ – ٧٤٣ م) (ابن زبالة، ٢٠٠٣م، ص٢٤٢).

كما أمدتنا بعض النقوش بمعلومات قيمة عن الزراعة، ففي النقش المؤرخ بتاريخ ٢٤ ربيع الأول سنة ٥٧٤هـ / ٩ / أيلول (سبتمبر) ١١٧٨م أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بصيانة ما نتج من ضرر نتيجة جريان الأنهار في دمشق حتى لا يحصل الغرق في كل سنة من السنين من مال خراج الغوطة[٣٢]. (Combe, 1931, vol 11, pp 34-35, vol 13, pp 164-165, vol 17, pp 54-55)

فضلا عن ذلك؛ أشارت بعض النقوش – بصورة غير مباشرة –إلى معلومات اقتصادية أخرى، مثل الطاحونة والحوانيت والصاغة القديمة والفندق وأرض الزيتون والمعصرة والرحى وسوق الحمالين وسوق السلاح وخان الشبلي (Combe, 1931, vol 9, p 65).

إضافة لذلك؛ فقد زودتنا بعض النقوش بمعلومات مباشرة عن الناحية العلمية والفكرية، مثل بناء المدارس ودور الحديث والخوانق والزوايا والربط. ففي عهد نور الدين زنكي تم بناء مدرسة في دمشق سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، حيث جعل عليها أوقافاً مثل بستان الجورة في أزره[٣٣] ، والحوانيت الأربعة عشر المتواجدة خارج باب الجابية[٣٤]، والحمام المستجد قرب المدرسة المعروفة بالواقف. (Combe, 1931, vol 9, p175) في القدس وجد نقشاً فيه ذكر لوقف على مدرسة صلاح الدين الأيوبي. كما يرد في نقش آخر أن

(٢٨) دمياط: مدينة مصرية قديمة تقع بين بحر الروم (البحر المتوسط) ونهر النيل . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٤٧٢) .

(٢٩) تنيس: جزيرة مصرية تقع على ضفاف نهر النيل بين الفرما ودمياط . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٢، ص٥١).

(٣٠) سَلم: محلة بأصبهان . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٣، ص٢٤٠).

(٣١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق، قصبتها عَمّان . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ١، ص١٨٩).

(٣٢) الغُوطة: كورة تابعة لدمشق ، بلغت مساحتها نحو (١٨) ميلا . (ياقوت الحموي، ١٩٧٧م، جـ٤، ص٢١٩).

(٣٣) أزره: لم تسعفنا المصادر المتوافرة في تحديد مكانها .

(٣٤) باب الجابية: هو الباب الغربي لمدينة دمشق. (الحميري، ١٩٨٤م، ص٢٣٧).

تنكز الناصري[٣٥] أنشأ مدرسة في دمشق وذلك في سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م. (Combe, 1931, vol 15, p 115).

وفي القاهرة أمر الأشرف برقوق ببناء زاوية في سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م وجعل عليها وقفاً للإنفاق عليها (Combe, 1931, vol 17, p 303). كما أوقفت الخاتون الكبرى أم حسام الدين بنت أيوب بن شاذى على مدرستها في دمشق المزروعة المعروفة بجرمانا، ونصف القرية المعروفة بمجندل السويداء، وجميع القرية المسمية بمجندل الفرقة (Combe, 1931, vol 11, p 15).

وأظهر النقش الموجود على عمود رخامي بالزيادة العثمانية بالمسجد الحرام ما نص عليه المرسوم الصادر من الأمير جاني بك نائب السلطنة المملوكية بثغر جدة، والمتضمن وظائف وألقاب لهذا الأمير وتقديرات نقدية لمصروفات حددت بالدراهم والدنانير الأشرفية، كما ذكر عمارته لمدرسة وجامع بثغر جدة حيث رتب له إماماً ومؤذناً وخطيباً ووقاداً ، كذلك أورد النص عمارة لمدرسة وبئر بالأبطح بالمعابدة بمكة المكرمة ، وعمارة عين حنين في مكة، بالإضافة إلى إنشاء دارين بردم الخليفة عمر بن الخطاب أي بالجهة الشرقية من الحرم المكي حيث أوقف على ذلك كله أوقافاً بالقاهرة (الفعمر، ١٤٢٨هـ ، ص١٠١-١٠٤).

كما زودتنا النقوش بمعلومات قيمة عن بعض العلماء مثل العلامة الشيخ عثمان الزيلعي شارح الكنز الصوفي، والذي قدم إلى القاهرة سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م ، فدرس وأفتى ، وكان معروفاً بالفقه ومختلف العلوم،وكانت وفاته سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م حيث دفن بالقاهرة (Combe, 1931, vol 15, p227). أما قاضي القضاة عز الدين محمد عبد العزيز بن البدر بن محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة الكناني الحموي، فتوفي في مكة المكرمة يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧٦٧هـ/ ٢٤/ شباط (فبراير) ١٣٦٦م، وكان مولده في دمشق، وذلك في شهر محرم سنة ٦٩٤هـ/ تشرين ثاني (نوفمبر)١٢٩٤م، حيث سمع وقرأ الفقه والحديث وأفتى ودرس وخطب، وولى قضاء القضاة بديار مصر تسعا وعشرين سنة بأحسن طريقة، ثم ترك ذلك تعففا، وجاور مكة فتوفي بها (المقريزي، السلوك، جـ٣، ق١، ص١٢٥؛ Combe, 1931, vol 17, p 88).

كذلك بينت النقوش دور بعض الدول الإسلامية في رعاية المؤسسات الدينية، فبعض النقوش ذكرت

---

(٣٥) تنكز الناصري: هو الأمير سيف الدين أصله من الرقيق، تولى نيابة دمشق ما بين سنة (٧١٢ – ٧٤٠هـ/ ١٣١٢-١٣٣٩م) . ازدهرت بلاد الشام في عهده، وزاد عمرانها. (الصفدي، ٢٠٠٠م، جـ١٠، ص٤٢٠- ٤٣٥) .

اسم مؤسس المسجد، وسنة بنائه، والأوقاف التي تصرف عليه، ويتضح ذلك بشكل بارز في العصر المملوكي (Combe, 1931, vol 15, p 6 , 33 , 121 , 125, vol 17 , p 3, 156) كما تم العثور على مجموعة من النقوش والتي تؤكد عمارة المماليك لبعض المقابر وصيانتها.. (Combe, 1931, vol 12, p 176 , vol 15, p 37, vol 17, p95) .

ومن جهة أخرى؛ فإن بعض النقوش أمدتنا بمعلومات مهمة عن أماكن دفن بعض القادة والأعلام، فمثلا تم تحديد مكان قبر أبي عبيدة عامر بن الجراح -أمين الأمة – (ت١٨هـ/ ٦٣٩م) في غور الأردن حيث عثر على لوحة رخامية على قبة قبره، وهي تعود إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م (ابن كثير،١٩٩٨م، جـ١٧، ص٥٣٤؛ المومني، ٢٠١٢م، ص٦٣).

وعندما سافر ابن بطوطة إلى مدينة بخارى زار قبر الإمام البخاري مصنف الجامع الصحيح، فشاهد على قبره نقش مكتوب فيما يلي نصه: " هذا قبر محمد بن إسماعيل البخاري، وقد صنف من الكتب كذا وكذا" (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، جـ٣، ص٢٦) ونقل الخطيب البغدادي عن شاهد عيان قوله: " قرأت على قبر السراج[٣٦] بنيسابور في لوح عند رأسه مكتوباً هذا قبر أبي العباس محمد بن إسحاق السراج مات في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة".(الخطيب البغدادي، ٢٠٠١م، جـ٢، ص٦٢). وشاهد ابن طولون في مقبرة الباب الصغير في مدينة دمشق لوحة على قبر كتب عليها اسم مؤرخ مدينة دمشق ابن عساكر (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م). (ابن طولون ، ١٩٩٨م، ق١، ص١٣١).

وأشارت بعض النقوش إلى نظام الوقف ، والجهات المستفيدة منه. فمثلا ذكر النقش الذي عثر عليه في مدينة دمشق أن الأمير أيدمر الظاهري نائب دمشق (٦٧٠-٦٧٦هـ/ ١٢٧١ – ١٢٧٧م) خصص للفقراء والمساكين والمجاورين والوافدين إليه السدس من القيسارية الواقعة خارج باب الجامع الأموي بدمشق المحاذية لجوار المدرسة الأمينية من الجانب الغربي، كما خصص لذلك أيضا الخان الموجود خارج باب الجابية، وهو الخان المعروف بخان الشبلي، والحصة بقرية الحسا، وهي أربعة أسهم وعشر ونصف

(٣٦) محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله أبو العباس السراج مولى ثقيف، برع في علم الحديث فروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وأبو حاتم الرازي . (الخطيب البغدادي، ٢٠٠١م، جـ٢، ص٥٦- ٦٢).

عشر السهم، وذلك وقفاً دائماً. (Combe, 1931, vol 13, p 164-165).

فضلاً عن ذلك؛ فقد ورد في بعض النقوش أعمالا خيرية مختلفة، مثل عمارة بئر أو ساقية أو صهريج كان يتم الإنفاق عليها من قبل بعض رجال السلطة أو كبار التجار وغيرهم من العامة. (Combe, 1931, vol 11, p 61) فمثلا في الهند شيد أبو جعفر محمد بن عبد الجبار بن محمد الجورجاني بئراً ، وذلك في ذي القعدة سنة ٤٨٢هـ/ كانون ثاني (يناير) ١٠٩٠م. (Combe, 1931, vol 7, p252) وخلال سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م أنفق محمد بن عروة بن سيار الموصلي أموالا لبناء صهريج في مدينة القدس. (Combe, 1931, vol 10, p 45).

وهكذا يتضح أن الكتابات التاريخية الإسلامية احتوت على معلومات سياسية وعسكرية واقتصادية وعلمية وغيرها. وغلب عليها الإكثار من الآيات القرآنية والترحم على الموتى والدعاء لهم. ومن المحق أننا لا نجد من النقوش عند أمة من الأمم مثل النقوش الإسلامية ، حيث انتشر معظمها في مصر وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، فاستفاد منها معظم المؤرخين قديماً وحديثاً في الوصول إلى حقائق تاريخية مهمة، قل الحصول على نظيرها في مصادر أخرى.

الخلاصة

يتبين من خلال دراستنا للنقوش الإسلامية كمصدر للتاريخ الإسلامي أن معظم المؤرخين المسلمين اعتمدوا عليها كشاهد حيّ على مصداقية الأحداث التاريخية، فكما يبدو أن اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٨م) كان من أوائل المؤرخين المسلمين الذين استندوا إلى تلك النقوش في دعم رواياته التاريخية، وسار على هذا النهج من جاء بعده من المؤرخين.

وتكمن أهمية النقوش بأنها من أكثر المصادر التاريخية حياداً، وموضوعية، وذلك على عكس كثير من المصادر التي يتعصب أصحابها للسلطة الحاكمة ، أو الاتجاه الديني السائد عندهم. فالنقوش بوصفها وثائق لا يرقى إليها شك، فهي بحكم أصالتها وخلوها من الأخطاء العفوية التي تكثر في المؤلفات التاريخية أو الأدبية تعد مصادر يمكن أن نثق بها، ونعتمد عليها لا سيما ما يتعلق بالتواريخ والأسماء الصحيحة التي لم يحرفها إهمال النساخ، ومنها نستكمل سلاسل الأنساب والأسماء، وذلك بمقارنتها مع غيرها من المصادر الأخرى.

كما امتازت النقوش بكثرتها وتنوعها، فمنها ما هو خاص بالشئون السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية

أو الدينية أو العلمية أو غيرها. فضلا عن ذلك؛ فالنقوش تتميز بأصالتها ودقة تفاصيلها، ومن ثم تساعد الباحث في الوصول إلى الحقيقة؛ لذا فهي وسيلة نتحقق من خلالها ما ورد في المصادر الأخرى من معلومات. وحين يختلف النقش عن المصدر الأدبي والتاريخي؛ ففي هذه الحالة غالبا ما نعتمد على المعلومات الواردة في ذلك النقش.

ومن ناحية أخرى؛ فالمعلومات الواردة في النقوش عادة ما تتسم بالإيجاز والاختصار الشديد، فهي عبارة عن إشارات وتلميحات من الصعب فهمها دون الاستعانة بالمصادر الأخرى، فالمادة العلمية في هذه النقوش تبقى احتمالية إلى أن يتم مقارنتها بغيرها من المصادر التاريخية والأدبية الأخرى.

قائمة بالمصادر والدراسات الحديثة

أولاً: المصادر العربية:

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، *الكامل في التاريخ*، راجعه محمد الدّقاق، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، تحقيق: رشدي ملحس، ط٨، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٦م.

ابن أعثم، أبو محمد، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، *الفتوح*، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٢م.

ابن البطريق ، سعيد (٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، *التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق*، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٥م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، *رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار)*، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، *أنساب الأشراف (العباس بن عبد المطلب وولده)*، ق٣، تحقيق: عبد العزيز الدوري، بيروت، دار فرانتس شتايز بفيسادن، ١٩٧٨م.

_____ *فتوح البلدان*، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، *الرحلة*، بيروت، دار صادر، (د.ت).

خسرو، ناصر (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ، *سفر نامة*، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، *تاريخ بغداد*، تحقيق: بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د. ت).

ابن خياط، خليفة(٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، *تاريخ خليفة بن خياط*، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت، دار القلم،دار الرسالة، ١٩٧٧م.

الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، *كتاب المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة*، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٩/ ١٩٦٩م.

الحميري، محمد عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٥١٤م)، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

الحنبلي، مجير الدين (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)، *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل* ، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م) ، *الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها*، بيروت ، المكتب التجاري، (د. ت).

الزبيدي، السيد محمد مرتضى (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق: مصطفى حجازي ، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٧م.

ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) *زبدة كشف الممالك*، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م.

ابن الشحنة، الفضل محمد بن محمد (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) ، *الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب* ، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، (ج٢، ق٢) تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٣م. (ج٣، ق١)، تحقيق: يحيى عبادة، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٨م.

الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرنأووط وتركي مصطفى، ط١، بيروت، دار

إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢)، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٩٦٤م.

ابن طولون ،محمد بن علي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، *رسائل تاريخية*، مكتبة القدسي والبدير ، دمشق، ١٩٦٤م.

_____ *مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)*، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م.

_____ *إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى*، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط٢، دمشق ، دار الفكر، ١٩٨٤م.

ابن العديم، كمال الدين (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، *تاريخ مدينة دمشق* ، دراسة وتحقيق: محب الدين العمروي ، بيروت ، دار الفكر، ١٩٩٥م.

العظيمي، محمد بن علي الحلبي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦١م)، *تاريخ حلب* ، تحقيق: إبراهيم زعرور، دمشق، (د. ن) ١٩٨٤م.

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دمشق _ بيروت ، دار ابن كثير، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

ابن العمراني، محمد بن علي من محمد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، *الأنباء في تاريخ الخلفاء*، تحقيق: قاسم السامرائي، القاهرة ، المهدى الهولندي للآثار والبحوث العربية، ١٩٧٣م.

الفاسي، تقي الدين محمد (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، *الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة*، تحقيق: علي عمر، ط١، بورسعيد مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، *المنتقى في أخبار أم القرى*، بيروت، ١٩٦٧م.

_____ *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه*، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط٢، بيروت، دار خضر، ١٩٩٤م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، *تقويم البلدان*، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

ابن فهد، عمر بن فهد (ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠م)، *إتحاف الورى بأخبار أم القرى*، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، القاهرة، المطبعة الأميرية ، ١٩١٤م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، *البداية والنهاية*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مصر، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٩٩٨م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، *جمهرة النسب*، تحقيق: ناجي حسن، ط١، (د. م)، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية. ١٩٨٦م.

الكندي، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، *كتاب الولاة وكتاب القضاة*، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعين، ١٩٠٨م .

مجهول (ت ق٤ هـ/ ق١٥م)، *العيون والحدائق في أخبار الحقائق*، ج٣، (من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم)، بغداد ، مكتبة المثنى ، (د.ت).

أبو المحاسن ابن تغري بردي، جمال الدين (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تحقيق: محمد محي الدين، ط٥، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م.

_____ **التنبيه والإشراف**، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٣م

المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩ م)، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م.

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، *الخطط والآثار في مصر والقاهرة*، بولاق، دار الطباعة، ١٢٧٠هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، (د. ت).

ابن النجار، محب الدين (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، *الدرة الثمينة في تاريخ المدينة* ، تحقيق: محمد زينهم عزب ، بور سعيد مصر ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٥م.

النعيمي ، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، *الدارس في تاريخ المدارس*، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

وكيع، محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، *أخبار القضاة*، بيروت، عالم الكتب، (د. ت).

ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، *معجم البلدان*، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م)، *تاريخ اليعقوبي*، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م.

ثانياً: الدراسات الحديثة

بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون، *مختارات من النقوش اليمنية القديمة*،(د.م)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥م.

بدوي، فتحي عفيفي، *"حول النقوش الصفوية القديمة"*، *مجلة الدارة*، الرياض، العدد (٢)، (سبتمبر، ١٩٨٤م).

البلاوي، عاتق بن غيث: *معجم معالم الحجاز* ، ط٢، دار مكة ، ومؤسسة الريان، مكة المكرمة، وبيروت، ٢٠١٠م.

الثنيان، محمد بن عبد الرحمن راشد، " *نقش غيل المنضج (المبرح) الإسلامي المؤرخ في سنة ٩٨ هـ(٧١٦-٧١٧م): محافظة ظهران الجنوب – المملكة العربية السعودية* "، *أدوماتو*،العدد التاسع (ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ يناير ٢٠٠٤م).

_____"*نقوش إسلامية مؤرخة من طريق الحج اليمني الأعلى(محافظة بيشة، المملكة العربية السعودية)*" *مجلة العصور* ، دار المريخ، لندن، مجلد١٦، الجزء (١)، (ذو الحجة ١٤٢٦ هـ/ يناير ٢٠٠٦م).

حلمي، محمود ، "*بداية الكتابة العربية*"، *عالم الفكر*، مجلد١٧، العدد (٢)، (يونيو، أغسطس، سبتمبر، ١٩٨٦م).

الدوري، عبد العزيز، " *الفكرة المهدية بين الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول*"، بحث منشور ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية، بيروت، الجامعة الأمريكية، (١٩٨١م).

الراشد، سعد بن عبد العزيز ، " *الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر بني أمية* "، بحث منشور ضمن *الكتاب الرابع لأبحاث الجزيرة*، وعنوانه: (الجزيرة العربية في العصر الأموي)، ط١، جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

روزنثال، فرانز ، *علم التاريخ عند المسلمين*، ترجمة: صالح العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٩٣م.

زامباور ، *معجم الأنساب والأشراف الحاكمة في التاريخ الإسلامي*، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

سالم، السيد عبد العزيز ، *التاريخ والمؤرخون العرب*، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م.

سوفاجية وكلود كاين ، *مصادر دراسة التاريخ الإسلامي*، ترجمة: عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، (د. م)،المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م

الشافعي، فريد محمود ، *العمارة العربية في مصر الإسلامية*، مصر، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٠م.

العابد، مفيد، "*حول مصادر تاريخ العرب القديم*" ، دراسات تاريخية، العدد (٦)، تشرين الأول ، (١٩٨١م).

العارف، عارف ، *تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك*، القدس، مكتبة الأندلس، ١٩٥٥م.

علي، جواد ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٨٠م.

عمارة ، طه عبد القادر ، *تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر الثماني* ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، مركز أبحاث الحج ، (د.ت).

غوانمة، يوسف ، *تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي*، الزرقاء الأردن، دار الحياة، ١٩٨٢م.

الفعمر، محمد بن فهد ،" *مرسوم لنائب جدة جاني بك المملوكي الجركسي مؤرخ بسنة ٨٦٣ هـ منقوش بالحرم المكي الشريف*" ، *مجلة الدارة*، العدد (٤)، شوال ، (١٤٢٨هـ).

كاشف، سيدة إسماعيل، *مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه*، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٦م.

كريم ، جمعة محمود ، " نقوش إسلامية تعود للعصرين الأموي والعباسي من جنوب الأردن"، مجلة جامعة دمشق ، مجلد١٨ ، العدد (٢)، (٢٠٠٢م).

الكلابي، حياة ، *النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي، بشمال غرب المملكة العربية السعودية (من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري)*، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

ماجد، عبد المنعم ، *مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

_____ *التاريخ السياسي للدولة العربية*، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

المريخي، مشلح ، "*نقش إسلامي يؤرخ لتجديد رخام الكعبة المشرفة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م بأمر من السلطان الرسولي الملك المظفر*"، مجلة الدارة، الرياض ، العدد (٣)، (١٤٢٦هـ)

المومني، سعد محمد ، " *النقوش الأثرية في ضريح الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح ومسجده* " ، *المجلة الأردنية للتاريخ والآثار*، المجلد ٦، العدد (١)، (٢٠١٢ م).

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Combe, et al. *Repertoire Chonologique D'epigraphie Arab Lecaire Imprimerie de L'institut*, Francis D'archeologie orientale ,1931

.

الملاحـــق

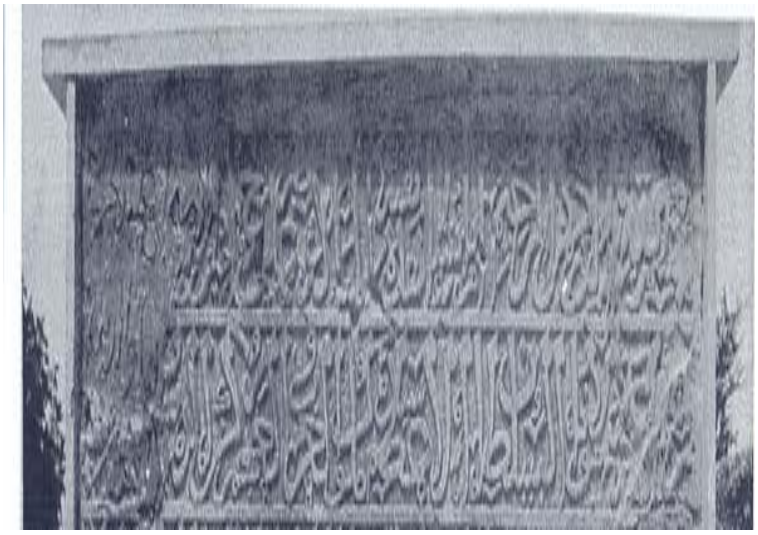

لوحة رخامية على قبة قبر أبي عبيدة عامر بن الجراح (أمين الأمة) في غور الأردن ، طولها (١٣٥) سم ، وعرضهـا (٩٥) سم ، وهي تعود إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م). (المومـني ، ٢٠١٢م، ص٦٣).

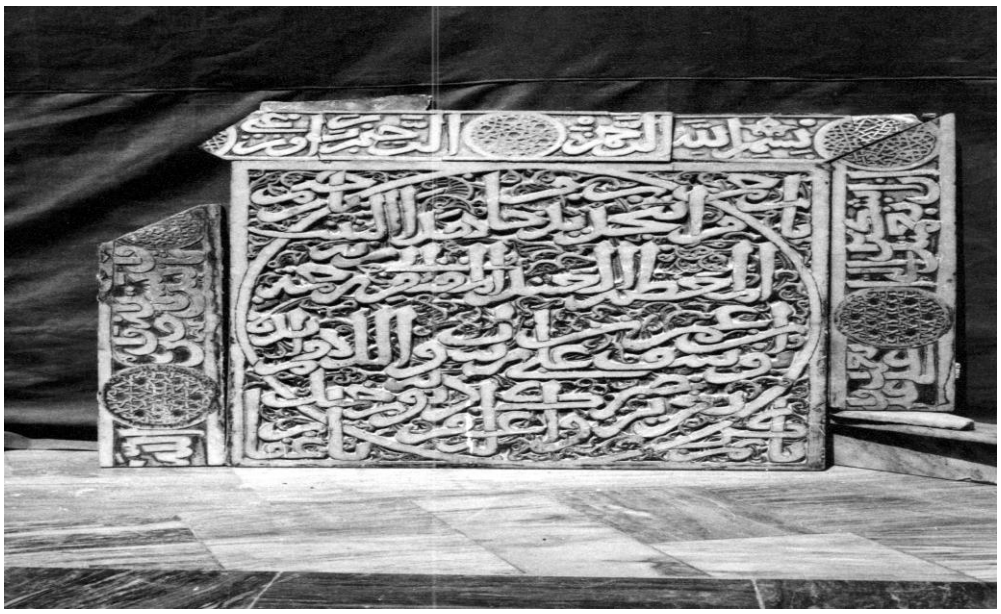

نقش إسلامي يؤرخ لتجديد رخام الكعبة المشرفة سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) بأمر من السلطان الرسولي الملك المظفر. (المريخي، ١٤٢٦هـ، ص٢٧٤).

لوحة (٣٧) عمود يطل على صحن المسجد الحرام سجل عليه نص تجديد مئذنة باب الحزورة في عهد السلطان المملوكى البحرى الأشرف شعبان بن حسين في سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م.

نقلاً عن (عمارة ، د. ت، ص ٢٩٨)

نص مرسوم الأمير جاني بك على عمود من الرخام بالناحية الشرقية من المسجد الحرام وهو مؤرخ بسنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م). (الفعمر ، ١٤٢٨هـ ، ص١٤٤).